Sharwes Scientific Journal (SSJ)
Volume 7, Issue 1, 2026, pp 105-119, ISSN: 3079-6040

Crafts, Professions, Industries, and Guild Organizations in Iraq during the Abbasid Period (132–334 AH / 750–946 CE)

Seham Milad Ammari

Department of History, Faculty of Education, Al-Zaytouna University, Tarhuna, Libya .

*Corresponding author: Abdu Alhadi Almrakbi | seham.ammary25@gmail.com

Received: 22-08-2025 | Accepted: 10-04-2026 | Available online: 27-04-2026 | DOI:10.5281/zenodo.19897608

ABSTRACT

This research paper examines the status of crafts, professions, industries, and guilds during the Abbasid era as fundamental components of the economic and social structure of Islamic cities, particularly Baghdad, the capital of the Caliphate. The study focuses on the interrelationship and development of crafts and professions, as well as the role of artisans in urban growth and economic activity. It also explores the function of guilds as well-organized professional bodies with a clear hierarchical structure (Shaykh al-Ṣinf, deputy, supervisor, apprentice, etc.) and strict professional traditions that ensured the continuity of crafts and their transmission across generations. The paper further addresses the social and cultural dimensions of these crafts, including the artisan's relationship with society, the prestige associated with certain industries, and the variations in social status among manual professions. The study concludes that crafts and industries were not merely isolated economic activities; rather, they played a pivotal role in shaping Abbasid society, contributing to its stability and transformations, and serving as indicators of its internal cohesion and professional and administrative development.

Keywords: Crafts, Abbasid Era, Guilds, Industries, Professions.

الحِرَف والمهن والصنائع والأصناف في العراق في العصر العباسي (132 - 334 هـ/ 750 - 946 م)

سهام ميلاد عماري

قسم التاريخ، كلية التربية، جامعة الزيتونة، ترهونة، ليبيا.

*المؤلف المراسل: سهام عماري | seham.ammary25@gmail.com

استقبلت: 22-08-2026م | قبلت: 10-04-2026م | متوفرة على الانترنت | 27-04-2026م | DOI:10.5281/zenodo.19897608

ملخـــــص البحـــــث

تتناول هذه الورقة البحثية واقع الحِرَف، والمهن، والصنائع، والأصناف في العصر العباسي، بوصفها من أبرز مكونات البنية الاقتصادية، والاجتماعية للمدن الإسلامية، لا سيما بغداد حاضرة الخلافة، وقد ركّزت الدراسة على علاقة الحِرَف، والمهن ببعضها وتطورها، ودور الصنّاع في الحركة العمرانية والاقتصادية، إضافة إلى استجلاء دور "الأصناف" بوصفها تنظيمات مهنية محكمة، لها تسلسل وظيفي واضح، (شيخ الصنف، الخليفة، العريف، التلميذ...)، وتقاليد مهنية صارمة، ضمنت استمرارية الحِرفَة ونقلها عبر الأجيال. كما تناولت الورقة الأبعاد الاجتماعية والثقافية لهذه الحِرَف، من حيث علاقة الصانع بمجتمعه، وهيبة بعض الصناعات، والتفاوت في المكانة بين الحِرَف اليدوية. وخلصت الورقة إلى أن الحِرَف والصنائع لم تكن مجرد أنشطة اقتصادية معزولة، بل لعبت دورًا محوريًا في تشكيل المجتمع العباسي، وأسهمت في استقراره وتحولاته، بل كانت مؤشرًا على تماسكه الداخلي وتطوره الحِرَفي والإداري.

الكلمات المفتاحية: الحِرَف، العصر العباسي، الأصناف، الصناعات، المهن.

"Articles published in *Sharwes Sci J* are licensed under a Creative Commons Attribution-Non-Commercial 4.0 International License."

المقدمة:

يُعَدّ العصر العباسي من أكثر الفترات التاريخية ازدهارًا من حيث النشاط الاقتصادي، والاجتماعي، والثقافي، وقد انعكست التحولات السياسية، والإدارية الكبرى على بنية المجتمع، لا سيّما في مجالات العمل والحِرَف. فقد شهد هذا العصر تنوّعًا ملحوظًا في المهن والصنائع، ونشوء تنظيمات مهنية تُعرف بـ "الأصناف"، أدّت أدوارًا مهمة في ضبط السوق، وضمان جودة الإنتاج، وحماية الحِرَفيين.

وتتجلّى أهمية دراسة الحِرَف والمهن، والصنائع في العصر العباسي في كونها نافذة لفهم العلاقات الاجتماعية، وآليات التفاعل بين مختلف طبقات المجتمع، والتوزيع المهني في المدن الكبرى، كبغداد، وسامراء.

كما تكشف هذه الدراسة عن مدى ارتباط الحِرَف بالتطوّر الحضري، والنمو الاقتصادي، وعن مكانة الحِرَفيين في النظام الاجتماعي، بين طبقة التجّار، وأهل العلم والإدارة.

كما تهدف هذه الورقة إلى توضيح أهمية الحِرَف والصناعات في الحياة الاقتصادية العباسية، ورصد ملامح تنظيماتها المهنية (الأصناف)، وأثرها في ازدهار المدن الإسلامية، كما تعتمد الورقة على المنهج السردي والتحليلي الاستقرائي، بالرجوع إلى بعض المصادر مثل: كتب الجاحظ، وابن خلدون، والطبري، وعدة مراجع اهتمت بدراسة الجانب الاقتصادي الذي يعتمد على مختلف الحِرَف، والمهن المختلفة التي ساهمت في تكوين تصور متكامل عن بنية العمل المهني في العصر العباسي. فاقتصرت الباحثة على مجموعة من النماذج لهذه الحِرَف، والمهن، والصنائع ومدى علاقتها ببعضها، فجاءت التقسيمات كالآتي:

- التعريف بمصطلحات (الصنائع، الحِرَف، المهن، الأصناف) ودلالاتها.
- العلاقة بين الصنائع، والحِرَف، والمهن.
- نماذج من الصناعات، والحِرَف، والمهن وأهميتها في المجتمع العباسي.
- واقع تنظيم الأصناف المهنّية وعلاقتها بتخطيط الأسواق

أولاً: التعريف بمصطلح الصنائع، الأصناف، الحِرَف، والمهن

1. الصناعة والصنائع:

اسم الحِرفَة الصانع، وعمله الصنعة، يقال: صنعة – يصنعه – صنعاً، وصناعة عمله.

والصنع إجادة الفعل، وكل صنع فعل وليس كل فعل صنعاً، وكل علم مارسه الرجل سواء كان استدلالياً أو غيره حتى صار كالحِرفَة فإنه يسمى صناعة، وقيل: الصَّنْعَة بالفتح العمل، والصناعة قد تطلق

على مَلَكةٍ يقتدر بها على استعمال المصنوعات على وجه البصيرة لتحصيل غرض من الأغراض بحسب الإمكان.[1]

فالصناعة عبارة عن عمل يدوي يجريه الصانع في صنعته، ويكون مما يغير في ذات المصنوع، كالسخانة، والخبازة، والطباخة، أو في صفته، كالنّجارة، والحدادة، والصياغة. وفي هذا وأمثالها يسمى المصنوع باسم غير اسم مادته.

كما تعد ملكة في أمر عملي فكري، وهي تحتاج إلى معلم؛ لأنها تتقدم جيلاً بعد جيل، وتكمل بكمال العمران الحضري. [2]

2. الأصناف:

قال أهل اللغة "التصنيف" التميز. وصنفت الشيء: جعلته أصنافاً، فكان المصنف لكتاب مبين النوع، أو القدر الذي أتى به في كتابه من غيرة. وبكسر الصاد: فهو النوع [1] وهو تصنيف الشيء حسب نوعه تميزاً له عن غيره.

ويشير الدوري إلى أنَّ الأصناف كانت بمثابة تنظيمات مهنية تُشرف على ضبط الإنتاج وجودته، وتُحدد قواعد التعامل، وتشرف على تدريب الحِرَفيين الجدد فكانت الأسواق في العصر العباسي تحت إشراف موظف يعرف باسم العامل على السوق، كما أنها لم تكن فقط مؤسسات اقتصادية، بل لعبت دورًا اجتماعيًا وثقافيًا، وأحيانًا سياسيًا، خصوصًا في بغداد، وسامراء، وبعض حواضر العراق.[3]

3. الحِرَف والمهن:

– الحِرَف مصدر "حرف يتحرف لعياله " كسب، واكتساب لهم، والحِرفَة أعم من الصناعة عرفاً؛ لأنها تشمل ما يستدعي عملاً، وغيره، والصنعة تخص بما يستدعى عملاً.

والحِرفَة وجهة الكسب أو يحاوله المحترف إلى المكتسب [1].

ويبين الجاحظ أن الحِرَفيين والصناع هم من ينتج الثروة المعمارية، والمالية فيقول: «والصنّاع أصحاب الأعمال اليدوية، هم الذين تبنى بهم المدائن، وتُدار بهم المعايش، وهم أعيان فيما يصنعون، وإن كانوا دون التجار في المنزلة» [4].

4. المهنة:

هي الخدمة بالخدمة، والعمل، ويقال: (أنه في مهنة أهله)؛ أي في خدمتهم [1].

وبما أن الصناعة هي حرفة الصنائع، والحِرفَة أعم وأشمل من مفهوم الصناعة، فما الفرق بين الصناعة والحِرفَة وما أهم الروابط المشتركة بينهما؟

إنَّ مفهوم المهنة يتداخل مع الحِرفَة أحياناً، والصناعة أحياناً أخرى، فكل منها تعني العمل باليد. فما الفرق؟ إن كل جماعة مهنية أو حرفية في كل مكان وزمان ترغب في التجمع في مكان واحد، "وهي على الأغلب الأسواق"، لما بينهما من مصالح، وروابط مشتركة، وقويت هذه العلاقة بينهما من خلال ظهور ما يعرف بالأصناف، بالرغم من كثرة عددهم في المجتمع، لم تكن أوضاعهم المعيشية ولا مكانتهم الاجتماعية متدنية كما قد يُظن، فرغم تدني الأجور، إلاّ أن تنوع الحِرَف والمهن، وتماسك العاملين فيها، إلى جانب ازدهار الإنتاج، ساعد على انخراط شرائح واسعة من الناس في مختلف الحِرَف، والمهن الصناعية.[5]

يرى ابن خلدون أن الكسب يمثل قيمة العمل الإنساني، والكسب يزداد تبعاً للعمل والجهد المبذول فيه، وكل انسان كسبه على مقدار عمله، والناس طبقات في المجتمع، من الملك الذي ليس فوقه يد عالية، إلى من لا يملك ضراً ولا نفعاً، وبين الاثنين طبقات متعددة وعلى هذه الطبقات أن تتعاون ولو أكرهت على ذلك، فلا بد من يد قوية ترغم الناس على مصالحهم، وتمنع المضرة بينهم. [2]

كما بين لنا الطبري من خلال وصفه للمجتمع العباسي في بغداد والتنوع السكاني لها بأن الناس طبقات مختلفة تختلف باختلاف المهن، والحِرَف فيقول: «وفيها من الناس: الجند، والتجار، والصناع، وأهل العلم، ومن لا مهنة له». [6]

ولابد للإنسان من قوت ومعاش يسد به جميع حاجاته، ولتحصيل معاشه طرق عديدة ومختلفة، أولها الفلاحة وهي أقدم وجوه العيش، ثم الصناعة، وهي توجد في أهل الحضر، وثالثها التجارة وهي محاولة كسب الفرق بين ثمن شراء البضائع، وثمن بيعها.[2]

يتناول الدوري بدايةً نشأة الحِرَف وتطورها في المجتمع العباسي، ويُشير إلى أن: «النمو الحضري، واتساع المدن العباسية أدى إلى تزايد الحاجات اليومية، فكان لابد من تنظيم الحِرَف، والمِهَن لتلبية تلك الحاجات».[3]

ثانياً: علاقة المهن، والحِرَف والصنائع ببعضها

إن ضم الأعمال بعضها إلى بعض يكون العمل فيها أكثر، فتصبح قيمته أزيد ، ومن ذلك الإشغال بالخشب مع التجارة، والغزل مع الحياكة ، ويبدو أنّ ابن خلدون هنا مقتنعاً بنظرية التداعي الصناعي، حيث تستدعي الانشطة الصناعية بعضها بعضاً، وعلى سبيل المثال فإن انشاء صناعة لمواد البناء قد يشجع في حال نجاحها على انشاء صناعة حديدية، وهذه تؤدي إلى صناعة عربات القطارات ، غير أن التجميع لم يكن متداولاً في العصر الوسيط إلا في نطاق ضيق جداً بالنسبة للميدان الصناعي ، كما هو الشأن في

تجميع الصناعات المتعلقة ببناء السفن بالنسبة لبعض الجهات، ولذلك تبقى الصناعات الإسلامية معتمدة بالدرجة الأولى على التخصص والعمل اليدوي ، وهي لا تستقطب يداً عاملة كثيرة في معظم الأحيان. [7]

تشير بعض المصادر إلى أن صورة بغداد في القرنين الثالث والرابع الهجري، كانت تنبض بالحياة والنشاط المهني، حيث كانت تجمعات الحِرَفيين، والتجار، والسماسرة، والدلالين تنتظم في أسواق متخصصة لكل مهنة أو نشاط، ويبدو أن كثيرًا من الصناع قد اتجهوا إلى التخصص الدقيق في حرفهم، مستخدمين أدوات وآلات متنوعة بحسب طبيعة العمل، كما أن هذه الحِرَف لم تكن بدائية، أو عشوائية، بل كانت تُصنّف تصنيفًا علميًا بحسب العنصر، أو المادة الأساسية الداخلة في عملها، فبعض الصناعات اعتمدت على الماء كمادة رئيسية، وأخرى على الهواء، أو التراب، أو النار، وبعضها على المعادن، مما يعكس تطورًا في الوعي المهني، والتنظيم الحِرَفي آنذاك. [8]

ومن خلال تتبع أوضاع الحِرَف والمهن في بغداد خلال القرنين الثالث والرابع الهجري، يَتّضح أن العلاقة بين الحِرَف، والمهن، والصنائع لم تكن علاقة انفصال، أو استقلال، بل كانت علاقة ترابط، وتكامل وظيفي ومعرفي، فقد تشكلت بنية سوقية متخصصة، تضم جماعات من الحِرَفيين، والتجار، والسماسرة، والدلالين، توزّعوا في أسواق متخصصة بحسب نوع النشاط، وهو ما يدل على درجة عالية من التنظيم المهني.[8]

وهنا نستنتج أن هذا التوزيع لم يكن عشوائيًا، بل كان قائمًا على نوع الصنعة، وطبيعة المادة التي تُعالج، وهو ما أدى إلى نشوء تخصصات دقيقة داخل المهن، استخدم فيها الصناع أدوات وآلات متنوعة، بحسب الحاجة.

وقد أسهم هذا التخصص في نشوء تصنيفات علمية للصنائع، وفق المادة الأساسية المستخدمة فيها، مما يكشف عن وعي علمي مبكر بطبيعة العمل، وعن بنية حرفية متكاملة لا يمكن فهم أي جزء منها بمعزل عن الآخر كذلك يرى ابن خلدون أن تنوع الحِرَف، والمهن، والصنائع إنما تكثر حيث العمران متسع، ولا يكون ذلك إلا في المدن، فإن الحاضرة محل الترف، واستدعاء الكماليات، فتتنوع فيها الحِرَف وتتشعب المهن، بخلاف البوادي، فإنها أقرب إلى البساطة، وأبعد عن الصنائع.[2]

كما يقول أيضاً أن العرب أبعد الناس عن الصنائع معللاً ذلك بعراقتهم بالبداوة، وبعدهم عن العمران الحضري، حيث تتوفر عوامل النشاط الصناعي، وبما أن الصنائع مهنة مركبة، وعلمية تصرف فيها الأفكار والأنظار فإنها لا توجد غالباً إلا في أهل الحضر؛ لأن العمران البدوي لا يحتاج من الصنائع إلا البسيط، خاصة المستعمل في الضروريات، من تجارة وحدادة، وخياطة، ولكن متى زخر بحر العمران، وطلبت فيه

الكماليات، كان من جملتها التألق في الصنائع، حتى نجد منها معلم الغناء، وقرع الطبول والوراقين، والطباخين، وغيرها.[2]

وأخيراً يذكر ابن خلدون أنواعاً لأمهات الصنائع المعروفة لزمانه من فلاحة، وبناء، ونجارة، وخياطة، وحياكة، وتوليد، وطب، ووراقة، وخط، وكتابة، وغناء.

ويقول: إن من أجاد صناعة من الصنائع مثل الخياطة، أو النجارة فمن الصعب عليه أن يجيد بعدها صناعة أخرى.[2]

فتطورت الصناعة في العصر العباسي لا سيما صناعة المنسوجات، ويبدو من ذلك أن العباسيين تفننوا في صناعة النسيج، وخاصة الملابس نتيجة لارتفاع مستوى المعيشة لدرجة الغناء والترف الزائد؛ لذا أنتجوا ملابس فاقت الحضارات الأخرى، وامتازت صناعاتهم بطابع عربي إسلامي. حيث أولى العباسيون اهتماما ملحوظا بتحسين التقنيات الصناعية. فقد عملوا على زراعة القطن حتى أن الخليفة المأمون أشار إلى ذلك بقوله إن الناس يتساوون في ثالثة أشياء في مرو: "الطبيخ بالنارنج، والماء البارد لكثرة الثلج، والقطن اللين.[9] كما قاموا باستخراج المعادن كالذهب والفضةً من مناجم المغرب ومصر والسودان والحجاز وكرمان، إضافة إلى مناطق ما وراء النهر وخراسان، واستخرجوا الحديد من غور فلسطين وفارس، والنفط والرصاص من فارس، والزئبق والفحم الحجري من مناجم ما و ارء النهر، والحقيقة أن بعض المؤرخين المعاصرين يقررون أن الصناعة لم تتجاوز مرحلة الإنتاج القروي، حيث كانت المنسوجات، والدباغة، وصقل الجلود، تمثل تقنيات متقدمة، أمّا الحِرَف التي تهم الحياة الحضرية بشكل أقوى فقد عهد بها إلى العبيد، والموالي، والصحيح إن المدن كانت تتوفر فيها صناعات تتجاوز الامكانيات المتاحة بالبوادي كصناعة الأسلحة والورق والسفن والأثاث وتسفير الكتب.[7]

ثالثاً: نموذجاً من أهم الصناعات والحِرَف والمهن:

1. الصناعة:

ا. صناعة النسيج:

كان العراق مشهوراً بصناعاته في القرن الثالث الهجري. وكانت مصنوعاته الرئيسية هي أدوات الترف التي يستعملها الأغنياء، أما التي تنتج لاستهلاك العامة فكانت محدودة الأثر في التجارة، مثل صناعة النسيج، وحياكة القطن [10] التي كانت أهم الصناعات في القرن الرابع الهجري، كما كان فن النسيج أرقى من أي فن صناعي وتعتبر الحياكة أقدم الصناعات اليدوية، لأن الجو يجعل العناية بالملابس ضرورية.[2]

وهذه الصناعة أكثر التصاقا بالحياة اليومية من غيرها، فيما عدا المواد الغذائية، وما ارتبط بها، وهي تتنوع إلى صناعة يزاولها حرفيون في الأسواق وأخرى عائلية تزاول في المنزل، ويدخل في النسيج الزرابي، والأغطية، وثياب الملابس، وما إلى ذلك. وهذه الصناعة إما محلية متوارثة عبر الأجيال، أو مستوحاة من صناعة الشعوب الحضارية القديمة ذات النفود قبل الإسلام كالفرس، والروم، والهنود، ولكن المجتمعات المسلمة طورت النسيج من حيث شكله واستعماله. [7]

فاستقطبت صناعة المنسوجات عدداً كبيراً من الحِرَفيين، ونشأت حول هذه الحِرفَة حرف أخرى كالتطريز والندف، والصباغة [11].

وكما كان الحال في سائر أقاليم العالم الإسلامي في العصور الوسطى، فقد احتلت صناعات الأقمشة مكانة بارزة في اقتصاد الشرق الأدنى، وقد اشتهرت مصر على وجه الخصوص بصناعة "البطانية" — وهو نوع من الأقمشة الثقيلة، أو المزخرفة — التي حافظت على جودتها، وسمعتها منذ العصور القديمة، واستمرت في الازدهار تحت الحكم الإسلامي، ولم تقتصر شهرتها على السوق المحلي، بل امتد توزيعها إلى أسواق جديدة داخل البلاد، لا سيما في المدن الصناعية مثل: دمياط، ودابق، وتِنِّس، وهناك كانت تُنتج أنواع متعددة من "البِطَانة أو البَطَّانية"؛ بعضها منسوجات ملونة، وأخرى مطرزة ومزخرفة، مما يعكس تقدم فنون النسيج، وتنوع الطلب عليها.

كان اللباس في مجتمع العباسي من أهم الحاجات الأساسية للإنسان، إلى جانب الطعام، والمسكن، وقد احتلت صناعة الملابس مكانة مرموقة باعتبارها من أرقى الصناعات، ولم تقتصر أهمية النسيج على الملابس فحسب، بل امتدت لتشمل زينة البيوت، إذ كانت تُزيَّن الستائر الملونة وتُعلَّق على جدران المنازل لتعكس الذوق الاجتماعي والاقتصادي لأهلها، وقد احترف الناس صناعة النسيج منذ القدم، بوصفها ضرورة حياتية لتوفير الأقمشة المناسبة للملبس والزينة. ويؤكد ابن خلدون أهمية هذه الحِرفَة بقوله: "هاتان الصناعتان ضروريتان في العمران، لما يحتاج إليه البشر من الرفة، فالأول لنسيج الغزل من الصوف، والكتان، والقطن، لإسداء في الطول، وإلحاقًا في العرض لذلك النسيج بالالتحام الشديد، فيتمّ منها قطع مقدّرة، فمنها الأكسية من الصوف للاشتمال، ومنها الثياب من القطن، والكتان للباس."[2]

ويُفهم من قول ابن خلدون أن مهنة الحياكة (نسج الغزل) والخياطة كانتا تمثلان ركنًا أساسًا من أركان العمران البشري، ليس فقط لسد الحاجة، بل أيضاً لتلبية جوانب الرفاه، والتفاوت الطبقي والاجتماعي.

وازدهرت في العراق صناعة المنسوجات القطنية وعلى اختلاف أنواعها، ففي شرق فارس تصنع المنسوجات القطنية، وعلى الأخص الطاليس ، والمنسوجات الصوفية كذلك، وأدى نمو شجرة التوت في

بلاد ما وراء النهر، ونمو دودة القز عليها بكثرة إلى صناعة الحرير واقتبس المسلمون هذه الصناعة من الصين عن طريق التجار والسفارات. [3]

كما نتج من صناعة النسيج حرفة الحياكة، والغزل، وقد انتشرت مهنة غزل القطن والصوف بين النساء وكان بدافع الحماية من الفقر، فاستعملت النساء المغزل اليدوي في غزل الخيوط، وهو الأداة المعروفة آنذاك، وكانت بعض النساء يجلسن أمام دولاب مغزلهن يعملن في الغزل لكسب قوتهن، إلا أن الغزل لم يكن حكرًا على النساء، بل شارك فيه الرجال أيضاً، إذ كان بعضهم يمارسه داخل منازلهم، ومثال ذلك حمّاء القُرشي، الذي كان يعتمد في معيشته على ما يغزله، كما عُرف الصوفي بكونه نسّاجًا ماهرًا، قضى سنوات يعمل في نسج الخزّ .[8]

وقد تطورت صناعة النسيج في العصور الإسلامية، فعرفت في العصر العباسي مصانع خاصة للنسيج والتطريز، فكانت حواشي المنسوجات تطرز بسطور يكتب عليها اسم الخليفة ولقبه وبعض الأدعية والآيات كما صنعوا من النبات أنواعاً من الاصباغ وهكذا اشتهر بعض الصباغين بصبغ الألوان على المنسوجات .[12]

وإلى جانت حرفة الصباغين ظهرت فن التطريز والزخرفة، فأصبح حصرها في أشرطة عريضة على المنسوجات وغيرها، كما ارتبطت جملة من المهن بالغزل والنسيج فكان الندافون يندفون القطن والقصارون الذين يقصرون المنسوجات، والدباغين الذين يعالجون الجلود ودبغها. [8]

والنسيج والخياطة حرفتان متكاملتان تدعم إحداهما الأخرى، فالخياطة لابد لها من نسيج مسبق، والنسيج لا تتم الفائدة منه إلا بالخياطة في الغالب [13]. وازدهرت الصناعة في العهد العباسي الاول واهتم الخلفاء بها لارتفاع مستوى المعيشة والرفاهية المفرطة [13].

ويتضح من ذلك أن العصر العباسي هو امتداد للعصر الأموي في صناعة المنسوجات.

كذلك اشتهرت اذربيجان في انتاج القماش، والثياب المصبوغة بالقرمز الناتج عن دودة القز، ويسمى الحرير القرمزي الذي تصنع منه الوسائد، والستائر والأبسطة [14].

ب. صناعة الخزف:

تشترك كل أقطار العالم الإسلامي في إنتاج المصنوعات الخزفية مع فارق الجودة، والنوع، والكم. [7]

وتطورت أساليب الصناعة الفخارية، والخزفية التي انتشرت في القرن العاشر الميلادي، والقرن الرابع الهجري، وكانت إبداعات تقنية ذات أهمية ملحوظة، فتعلم الخزفيون في الشرق الأدنى تقليد الخزف الصيني باستعمال معجون صناعي، والطين الاعتيادي [15]. فكانوا يصنعون منها الجرار، وبعض الأواني المنزلية

الأخرى ففي العصر العباسي الأول تطورت صناعة الخزف لصناعات أخرى مثل صناعة الرحاء الهوائية والدلاء، والسياط، والسروج، والمقرعة، والمناديل، والرصاص [16].

كما اشتهرت العراق بصناعة الفخار، وقد عثر علماء الآثار أثناء التنقيبات الأثرية في الكوفة، وسامراء، وواسط، على أوان من الفخار عليها نقوش بارزة وتصاوير بشرية، كما امتاز بعضها بأوان متموجة ذات بريق وكان منها الجرار والقوارير والأسرجة [12].

ومن مراكز الخزف الرائع في بغداد في القرن الثاني أواني تميزت برقتها وشدة بياضها، بالإضافة إلى أواني الزواج والأواني المذهبة ، فكانت الاواني الخزفية المعروفة بالريحية، وكان نفس النموذج معروفاً بتونس قبل ذلك[7] ، وكان للخزّافين في القرن الثالث ابتكارات متنوعة في الزخارف والألوان، ولعل أفضل أنواع الخزف ما صُنِع لرجال القصر، والخاصة من المنتجات الثمينة من الخزف، فكانت تطلى بالبريق المعدني، أو بالميناء، وأفضلها ما اكتشف في سامراء، وهي مزخرفة بعدة ألوان ذات اللون الذهبي أو البني مثل: أواني سامراء ذات البريق المعدني، تشبه بلاطات فاخرة في بلاطات محراب مسجد في القيروان، هو مسجد عقبة بن نافع، وإن صناعة الخزف في سامراء، ترجع إلى المدرسة العراقية التي كانت بغداد مركزها، فكانت بغداد أكبر مركز لإنتاج الخزف الفاخر. [8]

ج. الصناعات المعدنية (الأسلحة، والسفن) :

تعتمد صناعة الأسلحة على الحديد، وقد عرفت جزيرة العرب استعمال الحديد في السلاح قبل الإسلام. [7]

وفي العصر العباسي اشتهرت بلاد الأندلس باستخراج المعادن من مناجمها، والفضة في قرطبة، والحديد من جبال صليطلة، وكذلك الرصاص، والنحاس في مناطق عدة بالأندلس.

فاشتهرت بصناعة آلات الحرب، وصناعة التراس، والرماح، والسروج، واللجم، والدروع، وأيضاً صناعة السفن، كما اعتنى عمر بن خطاب بالتصنيع الحربي، فتم في عهده تصنيع أول منجنيق في الإسلام [17].

أما في المدينة المنورة في العهد العباسي فقد برزت عدة صناعات أهمها صناعة التعدين، وجدت معادن للفضة والذهب، وأيضاً استخراج الحديد، فكانوا يصنعون منه الأبواب، والأقفال، والأسلحة، والنوافذ، إلى غير ذلك [16].

وبذلك نرى صناعات مختلفة، مثل: صناعة المعادن، والنسيج، والدباغة، وصناعة الورق، قد اتخذت طابعًا مميزًا في العصر العباسي، وشهدت تطورًا تقنيًا، وتنظيميًا في تلك الفترة.

2. نماذج من الحِرَف المختلفة:

انتشرت في بغداد أصحاب حرف مختلفة منهم الخواصين، والعطارين، والصيادلة، الذين يعالجون بمختلف انواع الاعشاب، كما شاركت النساء في أعمال التجميل، والعطارة، وكان لباعة الحناء، والخضاب سوق خاص بذلك. [7]

كذلك حرفة القلامة التي ارتبطت بالأرض، والماء، والتقنيات، والمجهود البشري، واهتم الإسلام بالعمل الزراعي كما دخل فقه الإسلام بكل ثقله من أجل حل المشكلات الزراعية، والسقوية(الري) .

وكانت الزراعة حرفة رئيسية خصّت أهل البدو أكثر من الحضر، واهتم الخلفاء العباسيون بالزراعة بشكل كبير منهم الرشيد، والمهدي، وزبيدة زوجة الرشيد، فقد اهتموا بتحسين طرق الحرث، والزراعة، وبناء السدود وأنشأوا العديد من الآبار الري لمحاصيل الزراعة [16].

كذلك حرفة الرعي فأهتم السكان بتربية الحيوانات خصوصاً في المناطق الرعوية عند القبائل البدوية، واستفادوا منها في حرث الارض ورى المحاصيل الزراعية مثل: الحمير، والبغال، والإبل [16].

3. المهن:

أ. التجارة نموذجاً:

إن موقع العراق الجغرافي جعله جسراً بين إيران والهند وأواسط اسيا والصين من جانب، والجزيرة العربية والشام ومصر والغرب من الجانب الاخر، وهكذا قدر لسكان العراق، عند توفر الظروف، أن يصبحوا وسطاء فعالين في تجارة العالم المتمدن.[3]

كان لبعض التجار وظيفة اجتماعية مرموقة داخل المجتمع العباسي، فسمحت لهم المؤسسات الاجتماعية بهذه المكانة دون أن يُشكّوا تقيدهم بمجموعة من الحقوق والواجبات، والذين شكّلوا طائفة اجتماعية مفتوحة يستطيع أي راغب أن يمارس مهنة التجارة، أو يعتز بها دون قيود.[8]

واهتمت الدولة العباسية بالتجارة فشفت الطرق، وخاصة طرق منطقة الحجاز؛ لأنها قبلة المسلمين، ويحج إليها عشرات الألوف من المسلمين لأداء فريضة الحج وكذلك لتسهيل حركة التجار الخارجية [16].

ازدهرت التجارة في وبلغت أوجها في العصر العباسي؛ لاتساع رقعة الدولة العربية الإسلامية، لتنوع المنتجات، والأقاليم، والأسعار، كما سهلت وجود النقد المتداولة عملية التبادل التجارة، وكان ذلك سبباً في ارتفاع مستوى المعيشة، ورقي الصناعة وتقدمها [18].

فكان للتجار مكانة، ومنزلة اجتماعية كبيرة في المجتمع العباسي، يقول الجاحظ: «وأما التجار، فإنهم أصحاب الرغبة في الربح، وهم الذين يحتملون الأذى، ويطلبون الغنى، وهم الذين لا حياة للناس إلا بهم».[4]

ب. المهن الثقافية:

انتشر التعليم في بغداد، وأقبل الأعاجم على تعلم اللغة العربية لكي يحظوا بالتقدير الكافي في إدارة الدولة، وزاد في اقبال الناس على التعليم، تكريم الخلفاء للعلماء، وجيء بالمحدثين إلى دار الخلافة، فأشتد الطلب على الحديث، فقد بلغ عددهم في مجلس سليمان بن حرب أربعين ألف رجلاً من بينهم المأمون وقواده.[8] وأقبل العديد من العامة على طلب الحديث، ويبدو أن مهنة المحدث لم تكن تَدُر على صاحبها الروق الكافي.

إلا أن بعض الفقهاء وقفوا موقفاً سلبياً من أجر التعليم، ورفضوا أن يتقاضى المعلم أجراً عن تعليمه القرآن، والحديث أمثال: أحمد بن حنبل والحنفية [19]، وشق الخلفاء والأمراء طريق التعليم الديني باستقبالهم للمعلمين في قصورهم فاستقدم المنصور الشرقي بن القطامي، وأوكل إليه مهنة تأديب المهدي.

واقتدى الوزراء والولاة بالخلفاء، واستدعوا المعلمين لتعليم أبنائهم فقد نجح الزجاج بواسطة تلميذه القاسم ابن عبيد الله الوزير في الحصول على آلاف الدنانير، واستطاع بعض الأدباء، والعلماء، والفقهاء، والندماء، على مخصصات دائمة من الدولة [19].

كذلك مهنة الوراقون، والخطاطون، هذه المهنة انتشرت بعد انتشار التعليم، واقبال الناس على اقتناء الكتب، مما ساعد ذلك على قيام أسواق واسعة لها، وانتشر الناسخون أيضاً الذين يعملون في خدمة البلاط، ورجال الأدب وأصبحت أجور الوارقين مرتبطة بأسعار الورق [8]. وفي العهد العباسي اختصت المصاحف بخطوط معينة وظهر خط يعرف بالعراقي حتى وقت المأمون، فأخذ أصحابه وكتّابَهُ بتجويد خطوطهم، فتفاخر الناس في ذلك.

تحولت بغداد، ولا سيما بعد تأسيس بيت الحكمة، إلى مركز رائد للثقافة العربية الإسلامية، وملتقى بارز للعلماء، والأدباء، والمؤرخين، والفقهاء، ويُعَدُّ انتشار دكاكين الوراقين فيها، والتي كانت تمثل أحيانًا منتديات أدبية وعلمية، دليلاً على الازدهار الثقافي الذي بلغته المدينة.[8]

رابعاً: الأصناف "الصنف" :

وقد اتسم تنظيم الأصناف بدرجة عالية من الانضباط، إذ كانت العلاقات بين الأعضاء قائمة على التراتب الحِرَفي، والتدرّج المهني، والالتزام بقواعد السلوك المهني والأخلاقي، كما ارتبطت الأصناف بالأسواق من حيث التوزيع الجغرافي، فكان لكل حرفة سوقها، ولكل صنف مركزه، مما ساعد على ضبط الإنتاج وتوزيعه بصورة منظمة، بل إن بعض الأصناف كانت تقيم حفلات لاستقبال الأعضاء الجدد، يتخللها طقوس رمزية ذات طابع ديني أو اجتماعي، وفيها يُعطى المنتسب "إجازة" تدل على أهليته للعمل.[3]

ومع مرور الوقت، لعبت الأصناف دورًا اجتماعيًا يتجاوز المهنة، إذ ساهمت في كفالة أعضائها، ومساعدتهم في المرض، أو الشيخوخة، كما كان لبعضها أوقاف خاصة تُصرف على شؤون الحِرفَة، أو على تعليم المتدربين.

ولم يكن الانتماء إلى الصنف مجرد علاقة مهنية، بل انتماء إلى "جماعة حِرَفية" لها قيمها وهويتها، وبلغ الأمر أن وُجدت بينهم روابط تشبه الأخويات Guilds في أوروبا، وإن كانت ذات طابع محلي إسلامي مميز، وقد عُرفت بعض الحِرَف بأصنافها القوية كالصباغين، والدباغين، والنجارين، والحدادين، وكان من الشائع أن يحمل العامل خاتمًا خاصًا بالصنف، أو علامة على المنتج تشير إلى الحِرفَة والصانع، مما يشير إلى درجة التنظيم الدقيق الذي بلغته هذه المجموعات المهنية.[4]

أطلق على شيخ الصنف رئيساً، واكتسب رؤساء الصناع اهمية خاصة باعتبارهم ذوي خبرات عالية وكان أعضاء الصنف يحلفون بحياة شيخهم، أو رئيسهم، ويلي الأستاذ في المرتبة، وقيل إنه لابد لكل صانع أستاذ يتعلم منه صنعته [19].

ووجدت في الأصناف رتبة المختار أطلقت على الرئيس في حرفته، وأيضاً رتبة الخليفة الذي ينوب عن الرئيس في الحِرفَة، كما وجدت مراتب العريف، والنقيب، والمنكب.

فكان المبتدئون ممن يرغبون في الانتساب إلى الصنف يتدربون على أيدي الصناع وكان من الضروري اتقان الصنعة قبل ممارستها، كما أدى تكتل الأصناف المنظم إلى شعورهم بدورهم ومقدرتهم، أما الصانع الصغير فقد عرف بالتلميذ، أو غلام الصانع، أو متعلم الصنعة [8]. وقد ساعد هذا التنظيم الحِرَفي الصنفي في حفظ التقاليد الصناعية، وتوارثها عبر الأجيال، كما فرض العمل وتنظيم سوق الإنتاج والطلب، وكانت الأصناف أيضاً وسيلة لضبط جودة المنتجات، إذ إن الصانع لا يُجيز له بيع مصنوعة إلا بعد بلوغ درجة الإتقان المطلوبة وفق معايير الصنف. [3]

وترى الباحثة أن بنية الأصناف في العصر العباسي لم تكن مجرد آلية لتنظيم المهن، بل شكّلت لبنة اجتماعية واقتصادية لها وزنها، من حيث قدرتها على خلق هوية مهنية خاصة، وتكريس أخلاق العمل، وربما ساهمت بشكل غير مباشر في الحد من الفوارق الطبقية عبر فتح مسار اجتماعي للتقدّم، قائم على المهارة والالتزام.

- **الحيز الجغرافي للتنظيم الصنفي (الأسواق)**

إن هذا التنظيم الاجتماعي والمهني الدقيق للأصناف لم يكن ليعمل بمعزل عن البيئة العمرانية التي تحتويه؛ ومن هنا برز اهتمام الدولة العباسية بتنظيم الأسواق كحاضنة مادية ومجال مكاني لهذا النشاط الصنفي. فقد أولى الخلفاء الأسواق اهتمامًا بالغًا، باعتبارها دعامة أساسية للاقتصاد في الدولة، ومصدرًا هامًا للإنتاج والتجارة، فضلًا عن دورها في توفير استقرار مالي دائم.

وقد تجلّى هذا الاهتمام بوضوح في عهد الخليفة أبي جعفر المنصور (145هـ / 762م)، الذي أسس مدينة بغداد وحرص على نقل الأسواق من خارج المدينة إلى منطقة الكرخ، حيث تم تنظيمها وتأمينها بعناية فائقة. ويظهر من تخطيط أسواق بغداد أن هذه الأسواق اتسمت بنظام حديث في تلك الفترة وتنظيم متقن، لا سيما فيما يتعلق بالحرف والصناعات، إذ خصص لكل نوع من الصناعات سوق مستقل، ورتّبت الصفوف بطريقة تمنع اختلاط التجار بالحرفيين، مما ساهم في سير العمل التجاري والصناعي بكفاءة عالية. [20]

الخاتمة:

نخلص من هذا العرض والتحليل إلى أن الحِرَف والصنائع في العصر العباسي مثلت منظومة متكاملة؛ كانت بمثابة النواة للإنتاج المحلي الذي لبّى احتياجات الدولة والمجتمع. فقد تآزر إبداع الصانع مع التنظيمات الصنفية المحكمة والبيئة العمرانية للأسواق، ليخلق ذلك كله هوية اجتماعية واقتصادية فريدة أسهمت في استقرار المجتمع العباسي وتطوره الإداري، وفتحت آفاقاً للتجارة الخارجية والنمو الحضري.

النتائج:

من كل ما تقدم يمكننا أن نجمل أهم النتائج التي خرج بها هذا البحث ومنها:

1. تنوع الحِرَف والمهن كان انعكاسًا لازدهار الحياة الاقتصادية، والاجتماعية في العصر العباسي، وارتبط مباشرة بتطور المدن، وتوسع الأسواق الداخلية، والخارجية.
2. الصنائع لم تكن مجرد أنشطة يدوية، بل تعتبر نواة للإنتاج المحلي، والصناعي، وأسهمت في تلبية حاجات الدولة، والمجتمع، من الأدوات الحربية إلى المنتجات اليومية.
3. الأصناف المهنية ظهرت كتنظيمات داخل الحِرَف لضبط الجودة، وتنظيم العلاقات بين العمال، وأرباب العمل، مما يعكس مستوىً متقدمًا من التنظيم المجتمعي والمهني، سبق في بعض ملامحه النقابات الحديثة.
4. اتّضح من خلال الدراسة أن هناك ترابطًا وثيقًا بين الحِرَف والصنائع من جهة، والسلطة العباسية من جهة أخرى، سواء عبر الضرائب أو عبر استغلال بعض المهن لخدمة البلاط والمؤسسات الإدارية.

5. لعبت الأنشطة الحِرَفية دورًا حاسمًا في بناء طبقة وسطى بين التجار والعامة، وأسهمت في خلق حراك اجتماعي واضح، إذ تمكن بعض الحِرَفيين من الوصول إلى مراتب اجتماعية واقتصادية مرموقة.

6. كشفت الورقة عن علاقة بين المهنة والهوية الاجتماعية، حيث ارتبط كثير من الحِرَفيين بأسماء صناعاتهم، مما جعل المهنة جزءًا من هوية الفرد في المجتمع العباسي.

7. بيّنت النتائج أن الحِرَف والصنائع ساهمت في النشاط التجاري الخارجي، إذ كانت منتجات بغداد وغيرها من الحواضر تُصدّر إلى بلاد بعيدة، مما يدل على جودة الصنعة العباسية وسمعتها في الخارج

8. كانت الدولة العباسية حريصة على تنويع القاعدة الإنتاجية فعملت على استقطاب اليد العاملة المؤهلة من الفرس وأهل الذمة والعرب وتركت لهم ممارسة نشاطاتهم الحرفية والصناعية.

المراجع

1. عبد المنعم، محمود عبد الرحمن. معجم *المصطلحات والألفاظ الفقهية*؛ دار الفضيلة: القاهرة، مصر، د.ت؛ ج2، ص392، 372، 393، 562.

2. ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد. *مقدمة ابن خلدون*؛ منشورات دار ومكتبة الهلال: بيروت، لبنان، 1996م؛ ص52، 53، 144، 344، 432، 502.

3. الدوري، عبد العزيز. *أوراق في التاريخ والحضارة*، ط1؛ دار الغرب الإسلامي: بيروت، لبنان، 2007م؛ ج2، ص9، 11–13، 137، 266.

4. الجاحظ، عمرو بن بحر. *التبصر بالتجارة*؛ تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد؛ دار الآفاق الجديدة: بيروت، لبنان، 1981م؛ ص22، 23.

5. حسن، سولاف فيض الله. *الحرف والمهن في أسواق بغداد في العصر العباسي*؛ جامعة بغداد، كلية التربية ابن رشد للعلوم الإنسانية: بغداد، العراق، 2017م؛ العدد 57، ص398، 399.

6. الطبري، محمد بن جرير. *تاريخ الرسل والملوك*، ط2؛ دار الكتب العلمية: بيروت، لبنان، 1987م؛ ج8، ص112.

7. حركات، إبراهيم. *النشاط الاقتصادي الإسلامي في العصر الوسيط*؛ أفريقيا الشرق: الدار البيضاء، المغرب، 1996م؛ ص65، 102، 103، 108.

8. سعد، فهمي عبد الرزاق. *العامة في بغداد في القرنين الثالث والرابع الهجريين*؛ دار الأهلية للنشر والتوزيع: بيروت، لبنان، 1983م؛ ص112، 131، 133، 135، 137، 153، 158، 159، 175.

9. الحموي، ياقوت. معجم *البلدان*؛ تحقيق: فريد عبد العزيز الجندي؛ دار الكتب العلمية: بيروت، لبنان، د.ت؛ ج5، ص133.

10. ابن حوقل، محمد أبي القاسم النصيبي. *صورة الأرض*، ط1؛ شركة نوابغ الفكر: القاهرة، مصر، 2009م؛ ص234.

11. البطاينة، محمد ضيف. *الحياة الاقتصادية في العصور الإسلامية الأولى*، ط1؛ دار الكندي: عمّان، الأردن، 2016م؛ ص111.

12. الصالح، صبحي. *النظم الإسلامية*، ط2؛ دار العلم للملايين: بيروت، لبنان، 1996م؛ ص105، 405.

13. بشينة، محمد عمر محمد. *الألبسة العربية في الدولة العباسية*، ط1؛ هيئة أبحاث العلوم الطبيعية: طرابلس، ليبيا، د.ت؛ ص67، 72.

14. الفقي، عصام الدين عبد الرؤوف. *الدول المستقلة في المشرق الإسلامي*؛ دار الفكر العربي: القاهرة، مصر، 1999م؛ ص267.

15. اشتور، الياهو شتراس. *التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للدولة العباسية* (ترجمة: جاسم صكبان)، ط1؛ المركز الأكاديمي للأبحاث: بيروت، لبنان، 2016م؛ ص377.

16. العنزي، ميسون بنت مزكي فردوس. *الحياة الاجتماعية والاقتصادية في المدينة المنورة في العصر العباسي*؛ د.ن: د.م، 2004م؛ ص103، 118، 134، 151.

17. حسن، حسن إبراهيم. *تاريخ الإسلام*، ط7؛ مكتبة النهضة المصرية: القاهرة، مصر، 1965م؛ ج3، ص325.

18. خليل، شوقي. *الحضارة العربية الإسلامية*، ط2؛ منشورات كلية الدعوة الإسلامية: طرابلس، ليبيا، 1993م؛ ص235.

19. الخطيب البغدادي، أحمد بن علي. *تاريخ بغداد*؛ تحقيق: مصطفى عبد القادر؛ دار وحدانية السلام: د.م، د.ت؛ ج12، ص74، 247، 326.

20. اليعقوبي، أحمد بن إسحاق. *تاريخ اليعقوبي*؛ تحقيق: عبد الأمير مهنا؛ شركة الأعلى للمطبوعات: بيروت، لبنان، 2016م؛ ص31.